



تدبر القرآن فريضة الأمة بواسطة الدلالة على الخير

أ.د. ناصر العمر

رحمنا الله عز وجل عباده إلى التدبر فيما أنزله إليهم من آيات كتابه العزيز بصور متعددة؛ فببعضه أو هذا التدبر هو المقصود بإنزال القرآن بقوله: {كتاب أنزلناه إليكم مباركاً ليذكروا آياته وليتذكر أولوا الألباب} [ص: ٩٢]، وأثنى الله على من أعرض عنه تدبره كما في قوله: {أفلم يذكروا أن الله أنزل القرآن على من يشاء من عباده وأنزلناه بالقرآن على من يشاء من عباده وأنزلناه بالقرآن على من يشاء من عباده} [ص: ١٠٦]، وأوجبت التدبر - كما قال الشوكاني (١) - بدلالة قوله تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً} [النساء: ٢٨]، وقوله: {أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها} [محمد: ٤٢].

يدل على أهمية التدبر من جهة الشرع، فقد دل العقل على ذلك أيضاً، فمع لوازيم استخلاف الله عز وجل بني آدم في الأرض كما في قوله للملائكة: {إني جاعل في آل أبي بكر خليفته} [البقرة: ١٣٠]، أن بيده لهم استخلافهم منهجاً بيناً واضحاً يؤدونه به حق الخلافة على الوجه الذي يرضونه، وقد كان هذا يتم بما يوحيه إلى أنبيائه من الشرائع عبر الزمان، فلما آلت الخلافة لهذه الأمة الخاتمة، وأنزل عليها هذا الكتاب العظيم الذي لا كتاب بعده، كان لا بد أن يحوي بيده دفتيه منهج تحقيق الخلافة، ولكي تتعرف الأمة على تفاصيل هذا المنهج فلا بد لها من تدبر آياته؛ والمراد به كما قال العلامة السعدي رحمه الله: (التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك) (٢)، أي: ولوازم ذلك مع العمل والاتباع.

إن التأمل في حال المسلمين مع كتاب الله اليوم لا تخطئ عينه ما يرى من إقبال أعداد كبيرة منهم؛ رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، على كتاب الله عز وجل بالتلاوة والحفظ؛ فجمعيات التحفيظ منتشرة في طول البلاد وعرضها، والمساجد تمتلئ بخلق التلاوة والتحفيظ، ودورات التحفيظ تدرج كل عام العشرات والمئات من الحفاظ، حتى قيل إن هذا العصر هو العصر الذهبي لحفظ القرآن الكريم. وهذا بكل تأكيد مما

إسهام جمعيات تحفيظ القرآن الكريم في بناء الأجيال، الواقع والمأمول، ص ١١٦-١٢٦. (٤) تفسير ابنه

كثير (٥) فتح القدير ٦/٦٣٣ (٦) التحرير والتنوير ١/٨٥٣ (٧) تفسير السعدي

مدارج السالكين ١/١٥٤ (٩) تفسير السعدي ١/٩٨١-٩٩١ موقع المسلم